STARTER STORY · ARABIC · B1

رِسالةٌ في كِتابٍ قَديم

oqou

رِسالةٌ في كِتابٍ قَديم

كانَ يوسُفُ طالِباً في السَّنةِ الثّانِيةِ مِن الجامِعة. كانَ يُحِبُّ الكُتُبَ القَديمةَ أكثَرَ مِن أيِّ شَيءٍ آخَر. وفي كُلِّ يَومِ خَميسٍ، كانَ يَمُرُّ على بائِعِ الكُتُبِ العَجوزِ الَّذي يَفرِشُ بِضاعَتَهُ في آخِرِ الشّارِع.

في ذلِكَ الخَميس، وَجَدَ يوسُفُ ديوانَ شِعرٍ قَديماً بِغِلافٍ أزرَقَ باهِت. كانَ ثَمَنُهُ قَليلاً، فَاشتَراهُ دونَ تَرَدُّد. قالَ لَهُ البائِعُ مازِحاً: «هذا الكِتابُ أكبَرُ مِنكَ سِنّاً يا بُنَيّ.»

في المَساء، جَلَسَ يوسُفُ في غُرفَتِهِ وفَتَحَ الدّيوان. بَينَ الصَّفحةِ الأربَعينَ والصَّفحةِ الَّتي تَليها، وَجَدَ ظَرفاً أصفَرَ رَقيقاً. كانَ الظَّرفُ مُغلَقاً، وعَلَيهِ اسمٌ مَكتوبٌ بِخَطٍّ جَميل: «إلى صَديقَتي وَداد.»

تَرَدَّدَ يوسُفُ طَويلاً قَبلَ أن يَفتَحَ الظَّرف. قالَ في نَفسِهِ: «الرِّسالةُ قَديمةٌ جِدّاً، ورُبَّما لَم يَعُدْ صاحِبُها هُنا.» لكِنَّ الفُضولَ كانَ أقوى مِنهُ، فَفَتَحَهُ بِحَذَرٍ شَديد.

كانَتِ الرِّسالةُ قَصيرةً ومَكتوبةً بِحِبرٍ أزرَق. قَرَأَ يوسُف: «وَداد العَزيزة، أعرِفُ أنَّكِ غاضِبةٌ مِنّي، وأنا أستَحِقُّ ذلِك. الكَلامُ الَّذي قُلتُهُ يَومَ الحَفلِ كانَ قاسِياً. سامِحيني، فَأنا بِلا صَديقَتي نِصفُ إنسانة. صَديقَتُكِ سُعاد.»

في أسفَلِ الرِّسالةِ كانَ هُناكَ تاريخٌ قَديمٌ يَعودُ إلى ثَلاثينَ سَنةً مَضَت. فَهِمَ يوسُفُ أنَّ الرِّسالةَ كُتِبَتْ ولَم تُرسَلْ أبَداً. بَقِيَتِ الكَلِماتُ نائِمةً بَينَ صَفَحاتِ الشِّعرِ كُلَّ هذِهِ السَّنَوات.

لَم يَنَمْ يوسُفُ جَيِّداً تِلكَ اللَّيلة. كانَ يُفَكِّرُ في سُعاد ووَداد: هَل تَصالَحَتا بَعدَ ذلِك؟ هَل ما زالَتا تَسكُنانِ في المَدينة؟ في الصَّباح، قَرَّرَ أن يَبحَثَ عَن الجَواب.

عادَ يوسُفُ إلى بائِعِ الكُتُبِ وسَأَلَهُ عَن مَصدَرِ الدّيوان. فَكَّرَ الرَّجُلُ قَليلاً ثُمَّ قالَ: «اشتَرَيتُ صُندوقاً مِن الكُتُبِ الشَّهرَ الماضي مِن بَيتٍ قَديمٍ في حَيِّ الزَّيتون. كانَتْ سَيِّدةٌ عَجوزٌ تَستَعِدُّ لِلانتِقالِ إلى بَيتِ ابنِها.»

حَيُّ الزَّيتونِ لَيسَ بَعيداً عَن الجامِعة. في يَومِ الجُمعة، رَكِبَ يوسُفُ الحافِلةَ وذَهَبَ إلى هُناك. سَأَلَ في المَخبَزِ وفي الصَّيدَلِيّة، حَتّى دَلَّهُ حارِسُ بِنايةٍ قَديمةٍ على العُنوانِ الجَديد.

فَتَحَتْ لَهُ البابَ سَيِّدةٌ في السَّبعينَ مِن عُمرِها، شَعرُها أبيَضُ وعَيناها مُتعَبَتان. قالَ يوسُفُ بِأدَب: «عَفواً يا سَيِّدَتي، هَل أنتِ السَّيِّدةُ سُعاد؟» نَظَرَتْ إلَيهِ بِدَهشةٍ وقالَتْ: «نَعَم، مَن أنتَ يا بُنَيّ؟»

أخرَجَ يوسُفُ الظَّرفَ الأصفَرَ مِن حَقيبَتِه. حينَ رَأَتهُ سُعاد، وَضَعَتْ يَدَها على فَمِها وجَلَسَتْ على أقرَبِ كُرسِيّ. قالَتْ بِصَوتٍ يَرتَجِف: «مِن أينَ لَكَ هذِهِ الرِّسالة؟»

حَكى لَها يوسُفُ قِصّةَ الدّيوانِ الأزرَق. سَكَتَتْ سُعادُ طَويلاً ثُمَّ قالَتْ: «كَتَبتُها بَعدَ خِلافٍ سَخيفٍ مَعَ أعَزِّ صَديقةٍ لي. خِفتُ أن تَرفُضَني، فَأخفَيتُ الرِّسالةَ في الدّيوانِ ولَم أُرسِلْها. ثُمَّ انتَقَلَتْ وَداد إلى مَدينةٍ أُخرى، وضاعَ كُلُّ شَيء.»

سَألَ يوسُف: «وهَل تَعرِفينَ أينَ تَسكُنُ الآن؟» هَزَّتْ سُعادُ رَأسَها وقالَتْ: «سَمِعتُ قَبلَ سَنَواتٍ أنَّها عادَتْ إلى المَدينة، وأنَّ ابنَتَها تَملِكُ مَكتَبةً صَغيرةً قُربَ النَّهر. لكِنّي لَم أجرُؤْ يَوماً على الذَّهاب.»

ابتَسَمَ يوسُفُ وقالَ: «أنا طالِبُ، وعِندي وَقتٌ كَثيرٌ ودَرّاجةٌ هَوائِيّة.» في اليَومِ التّالي، زارَ كُلَّ مَكتَبةٍ صَغيرةٍ قُربَ النَّهر. وفي المَكتَبةِ الثّالِثة، سَألَ صاحِبةَ المَحَلِّ إن كانَتْ والِدَتُها تُدعى وَداد، فَنَظَرَتْ إلَيهِ المَرأةُ بِدَهشةٍ وقالَتْ: «نَعَم، مَن أنتَ؟»

بَعدَ أُسبوع، جَلَسَتِ امرَأتانِ عَجوزانِ على شُرفةٍ صَغيرةٍ تُطِلُّ على النَّهر. كانَتِ الرِّسالةُ الصَّفراءُ مَفتوحةً بَينَهُما، وكانَتا تَضحَكانِ وتَبكِيانِ في وَقتٍ واحِد. قالَتْ وَداد: «ثَلاثونَ سَنةً يا سُعاد، وأنا أظُنُّ أنَّكِ نَسيتِني.»

قالَتْ سُعاد: «كُنتُ أقرَأُ الدّيوانَ كُلَّ سَنةٍ وأقولُ: غَداً أُرسِلُها. ثُمَّ جاءَ الغَدُ مُتَأخِّراً ثَلاثينَ سَنة.» ضَحِكَتِ الصَّديقَتانِ مَعاً، وسَكَبَتْ وَداد الشّايَ في الكوبَين.

أمّا يوسُف، فَقَد عادَ إلى غُرفَتِهِ وعلى وَجهِهِ ابتِسامةٌ هادِئة. وَضَعَ الدّيوانَ الأزرَقَ في مَكانٍ خاصٍّ على الرَّفّ. وكُلَّما سَألَهُ أحَدٌ عَن أجمَلِ كِتابٍ قَرَأهُ، أجابَ: «كِتابٌ وَجَدتُ فيهِ رِسالةً لَم تَصِلْ، ثُمَّ وَصَلَتْ.»

OQOU STARTER LIBRARY

This story is from oqou's free starter library, graded at B1 for Arabic readers.

Read it interactively in the oqou app: tap any word for an instant translation, listen with natural narration, and carry your saved vocabulary into every story you read next.

oqou.app

Download oqou on the App Store

oqou